على هامش الصراحة

استذكاراً لصراحة (أبو كاطع)

■ إحسان شمران الياسري

قبل أربعة عقود باشر الراحل (شمران الياسري- أبو كاطع) بمشروع جميل لإعداد القاموس الريفي. ولم يكتمل هذا المشروع الذي كان مشروع العمر بالنسبة للراحل.. ولجمال اللغة التي كُتب بها، ولطول مواده قياساً بحجم العمود المخصص، فقد آثرنا تجزئة نماذج من هذا القاموس الريفي إلى عدد من الأجزاء حسب الحال. القاموس الريفي، الذي جمعت مواده الخام، وخصصت لإنجازه أيام (التقاعد) المقبلة - ومنه العون والتسهيل! - أنوي ترتيبه هكذا: الحروف.. الأسماء.. الأفعال.

حطّ...!

(الجزء الأول)

(حَطّ) بمعنى وضع.. وجعل.. وجثم.. مثل قولهم: (حط الرحمن بين عيونك) تحذيرا لمتهور، من مغبة الاندفاع والطيش. ويقولون عن المشاكس (حاط چفنه على راسه) وعن المتخايل (حاط اعكاله صفح).

وعن المغرور والمدّعي (حاط الدنيا بجيس التتن).

ويقال للمتكبر: (حط ايدك بطاعة الله) وللنزق (حط لك بعبك صفاه) وللمتعالي بسبب حصوله على مال أو مركز، بصورة مفاجئة: (بعدك ما حطيت رجلك بالرچاب).

ويحذر الصديق صديقه أو القريب قريبه من التورط في شيء معين (لا اتحط روحك بهالشغله).

ويقال مدحا للغائب (حَطه عد يمناك..) سواء في ذلك الشجاع أو القوي الذي لا يغلب في المحاجة. وأحيانا يقال لمعنى مضاد، كأن يقول بعضهم عن الجبان: (حطه عد يمناك بالعزايم..).

وان تحرّج احدهم في القطع حول مسألة شائكة، أجاب مع تحريك خفيف لثوبه في ما يلي الرقبة: (ما أحط على بختي).

ومن باب الأدعية بالشر يقول عاشق وقفت أم المعشوقة في طريقه حجر عثرة:

حطيت انا العباس يا امها جبيلچ
امكَرمه وتبچين محد يشيلچ

ويقول عاشق آخر، تعريضا بفتاة أنكرت حبه وتعلقت بشاب آخر:

حطي ايدچ اعلى اثنين خويه الطمع زين
والثالث احچي اوياه خافن تفلسين

وإذا تراءى لأحدهم أن صاحبه يشك في ما أسمعه، أو اعتبر القول يتضمن غمزا مبطنا، يسأله متعجبا: (هم حطيت بيها؟!).

وإذا اشتد النقاش حول أمر عويص، سأل احدهم الآخر طلبا للنصيحة: (حطني من ايدك؟)

ويقال ذما للساعي بنميمة، أو المتدخل لغير صالح الطرفين: (ايحط عالنار حطب).

ومن باب المواعظ (الرديئة) المنسجمة مع روح التفرد يشيع بينهم ترديد هذه السجعة، وأحيانا يُنغّمونها: (حط امتعيك بالينطي.. عمك خالك لا تنطي).

ويقول المتردد في جدوى نتائج فعلته (أرد أحطها بهالبخت) تقليدا أو اتكالا على رأي من سبقه.

ويتساءل الرجل، إذا وجد صاحبه غير مخلص في ما يدعو إليه، مع إلحاحه الشديد على تنفيذ الأمر أو التبصير بفكرة ما: (چا حاطني ماشة نار؟!).

وإذا تعاتب صديقان، أو قريبان، قال احدهما للآخر (يدفع عن نفسه التهمة ويعرض استعداده لقبول الحكم): (أفرش عباتي وانت حط.)

ومن مأثوراتهم: (اشما اتحط بالجدر يطلعه الجفجير)

ومن حكمياتهم: (لا اتحط ايدك بالنهار وتصيح ياقريب الفرج).

ومن خرافاتهم، الاعتقاد بوجود (خرز) أشهرها (الهبهاب) يمكن أن تغمسه المرأة في طعام الرجل أو شرابة، أو تدعك به ثابه، فيؤدي إلى تعلقه بها.. لكن هذه الوصفة، تعطي أحيانا نتائج سيئة على صحة الرجل، ولهذا يقال عن شارد الذهن والمصاب بالذهول، أو من يلازمه الأرق: (فلان محطوط له..) وعندئذ يتعين عليه الذهاب إلى إحدى العارفات المشهورات بمعالجة إمراض الخرز، لتقرأ تعاويذها على ماء، يغترفه المريض بـ(طاسة خلاص) ولكل عارفة طريقتها.. وإبداعاتها.

ويطلقون مجازا على المصاب بداء النسيان (محطوط له خرز).

وقريب من ذلك تخصص بعض النساء في معالجة المشاكل العاطفية ومضاعفاتها، واشهرهن التي تحفظ الالفية: (الف بيت شعر ورجزة) فللرجل الذي يهم بالزواج من إمرأة ثانية تقرأ هذه التعويذة، لصالح الزوجة الاولى، وفق طقوس معينة: (احط عليك سور.. وابن الجان ناطور.. الخ).

مستقبل المنطقة والتخبّط السياسي في العراق

لا شك في أن منطقتنا مقبلة على تغييرات ستراتيجية كبيرة ستلقي بظلالها على كل المعادلات المحركة للسياسات الداخلية والخارجية لجميع الدول فيها، فالتغيرات الجارية ابتداء من ليبيا وتونس ومصر وليس انتهاء بسوريا، والاستعدادات الداخلية الجارية على قدم وساق في سوريا وإيران ، جميعها مؤشرات واضحة على مستقبل هذه المنطقة. ولست هنا بصدد الكتابة عن الثورات العربية ... وإنما عن نتائجها ،وتأثيراتها وبالتحديد على مستقبل العراق كدولة وليس كنظام سياسي.

عبد الله صالح

عضو مجلس النواب السابق

في تقديري إن النتيجة المشتركة الرئيسية لجميع هذه الثورات والتحركات الشعبية سيكون بروز أنظمة سياسية أكثر ديمقراطية وحرية ومرونة مع شعوبها وتقودها تنظيمات إسلامية معتدلة (إخوان جدد) قريبة في نهجها (وحسب وعي الشعوب في كل دولة) من حزب العدالة والتنمية في تركيا ومتحالفة معه في السياسات الستراتيجية ... وهذا يؤدي بالمنطقة إلى مرحلة جديدة قديمة من الصراعات، وستكون أكثر الدول تضررا هي: إسرائيل حيث إن الأنظمة الجديدة لن تتعامل مع إسرائيل بنفس أساليب الأنظمة القديمة في تلك الدول ، بل سيكون هناك ضغط جدي على إسرائيل يؤدي بها إلى حل المشكلة الفلسطينية على أساس حدود ١٩٦٧، مع تبادل الأراضي لأغراض أمنية ، وهذا ما جاء في خطاب أوباما الأخير حول المنطقة .

إيران حيث أنها ستخسر أهم أسلحة سياستها الخارجية وسيسحب البساط من تحت أقدامها في موضوع الصراع العربي – الإسرائيلي، وبالتالي عليها البحث عن بدائل ومواقع جديدة لاتخاذها كخطوط دفاع خارج حدودها.

وبالاستناد إلى هذه التغيرات ، ستدخل المنطقة في صراع شرس وطويل بين العثمانية الجديدة (تركيا وحلفاؤها من الأنظمة السياسية الجديدة في الدول العربية) وبين الإيرانية الجديدة بقيادة احمدي نجاد أو نهجه الذي يمثل القومية الفارسية في الجمهورية الإسلامية في إيران ... ومع الأسف سيكون العراق بالدرجة الأساس، المركز الأهم لهذا الصراع الحاد والطويل، إضافة إلى لبنان بدرجة اقل.

أين نحن ؟ وماذا فعلنا ؟ وكيف ندخل في هذه المعادلة ؟

يؤسفني القول انه لحد هذه اللحظة لاتوجد أية مؤشرات دالة على أي استعداد من جانبنا كعراقيين لكيفية إدارة هذا الصراع لاسياسيا ولا اقتصاديا ولا عسكريا ولا حتى اجتماعيا ... حيث مازال التخبط وعدم القدرة أو الرغبة في بناء مؤسسات الدولة هو السمة السائدة في العملية السياسية العراقية ، وهنا أريد القول انه يخطئ من يتصور انه سيكون بمنأى عن الأضرار والأخطار الجسيمة التي ستلحق به منفردا سواء على المستوى الشخصي أو الحزبي أو الطائفي أو القومي ... لن ينجو احد منفردا ، ولنا في التاريخ العراقي عندما كان أهم مراكز الصراع بين الإمبراطورية العثمانية والصفوية تجارب واضحة وجلية ....

ما العمل إذن ؟

في تصوري انه يجب أن يناقش(القادة) و(الكتل السياسية) هذا الموضوع بوضوح وصراحة ليتوصلوا إلى الرؤية المتبلورة للنتائج الممكنة لما يحدث في المنطقة، وعلى ضوئها عليهم أن يقرروا :

هل الجميع متفقون أن تبقى دولة العراق في هذه المنطقة ؟

هل هناك من يريد أن لا تبقى دولة العراق في هذه المنطقة ؟

إذا اتفق الجميع على ضرورة بقاء دولة العراق ... فماذا يمكن أن نفعل كي نحافظ على أنفسنا ؟

إن أول شيء يجب أن نفعله هو أن تكون عراقية الجميع فوق مراكز آيديولوجياتهم (خارج العراق)، المراكز التي تحرك الامتدادات والفروع في الداخل العراقي حسب حاجاتها، وليس حسب حاجة العراق، سواء كان مركزا آيديولوجيا واحدا كما هي لطائفة ، أو مراكز آيديولوجية) متعددة كما لطائفة أخرى.

عندما يتحقق هذا، سنكون قد قطعنا نصف الطريق... وبغيرها ، لا أتصور أن هناك أملاً أو مستقبلاً للعراق.

والشيء الآخر، يجب أن ننطلق بقوة وبسباق مع الزمن لبناء مؤسسات الدولة الدستورية ... وهذا لا يعني الاهتمام بالجيش ومؤسسات الأمن بالدرجة الأولى فقط وإنما بالمؤسسات التي تدير الجيش والأمن والاقتصاد والخدمات... إن بناء هذه المؤسسات ليس لغزا لا يفك ولا طلسما مستعصيا ، وإنما هو واضح ولدينا خارطة طريق مركزة جدا وهو الدستور.

أما إذا لم يتفقوا على بقاء دولة العراق ... فلا داعي لمزيد من إضاعة الوقت ،وليأخذ كل فريق طريقه ويتحمل مسؤولية مستقبله في إقامة دولته المستقلة الخاصة به ... فالإحداث أسرع من أسلوب وحركة تفكيرنا وعملنا ، وتشبثنا بالأشياء الصغيرة في غير محلها.

دروس وعبر من محاكمة مبارك

حسين علي الحمداني

قالوا إنها محاكمة القرن، ووصفها البعض بأنها جاءت نتيجة ضغط الشارع المصري على المجلس العسكري،وآخرون قالوا إنها رد قوي على أحاديث كانت تشير إلى هروب مبارك لخارج مصر،لكن مع كل هذا وجدنا ثمة مفاجأة من الوزن الثقيل أطلقها المحامي حامد سيد مكي بالتأكيد أن مبارك مات وأن الشخص الموجود في قفص الاتهام هو شبيه له، وهذا ما يعيد لنا الأقاويل الكثيرة التي كانت تتردد في العراق في وقبل محاكمة الدكتاتور صدام وأعوانه، لكن ما يختلف في هذا المشهد بأن مبارك وولديه كانوا أكثر احتراما للقضاء المصري بقولهم (أفندم) بعكس صدام وأعوانه الذين ظلوا في كل الجلسات يحملون من المكابرة والغطرسة الشيء الكثير.

الجلسة الأولى رغم الفوضى التي سادتها إلا إنها شكلت مشهداً جديداً في مصر التي لم تألف بعد محاكمة رؤساء سابقين، ولعل القائمين على المحكمة أرادوها بهذه الصورة الشعبية من أجل إرضاء الشارع المصري الذي يجد في محاكمة محمد حسني مبارك نهاية لحقبة هذا النظام،خاصة وإن القصاص يمثل رغبة الشعب المصري .

وبالتالي وجدنا ونحن نتابع هذه الجلسة بأن ثمة جرائم تكشف وحقائق تتضح،وضحايا ينتظرون العدالة أن تأخذ حقهم الذي سُلب منهم،تابعنا الجلسة الأولى لمحاكمة الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك عن تهم كثيرة أسندت له ولزبانيته منها: قتل المتظاهرين،هدر المال العام،تصدير الغاز لإسرائيل بأسعار مخفضة وغيرها من التهم التي ستظهر في الجلسات القادمة للمحكمة.

ومبارك لا يختلف كثيراً عن الزعماء العرب الذين تسيدوا عقوداً طويلة في الحكم واعتبروا كل ما موجود في البلد ملكاً لهم ولعوائلهم ، هذه هي فلسفتهم في السلطة،على اعتبار إن السلطة غنيمة عليهم أن يتقاسموها،نحن في العراق لم نستغرب لأننا عشنا واقعاً مريراً إبان حكم الطاغية المقبور صدام وجلاوزته الذين حاكمهم الشعب عن جرائم إبادة ارتكبوها بحق الشعب العراقي منذ يومهم الأول في الحكم وحتى سقوطهم المدوي في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ ،وأستطاع شعبنا من أن يقتص منهم رغم الهجمة الإعلامية الشرسة التي تعرض لها العراق جراء هذه المحاكمات خاصة من الإعلام (القومي)، يضاف إلى ذلك حفنة من المحامين الذين انبروا للدفاع عن الطاغية المقبور، وفي مقدمتهم عائشة القذافي وعدد من محامي مصر الذين وجدوا في محاكمات صدام وأعوانه فرصة لهم للبروز الإعلامي ليس إلا، وأنا أتابع مشاهد محاكمة مبارك وأعوانه تكررت أمامي مشاهد كثيرة وصور شتى تعايشنا نحن العراقيين معها في السنوات الماضية ، أهمها بالتأكيد بأن نظام حسني مبارك هو أحد أبرز الأنظمة التي دعمت القوى الإرهابية في العراق وقد كشفت الكثير من الوثائق بعد سقوط هذا النظام دوره في زعزعة أمن واستقرار العراق عبر تعاطيه مع خلايا وتنظيمات إرهابية عاملة في العراق بالتعاون مع أجهزة مخابرات دول أخرى .

نحن كنا ندرك بوعينا بأن الأنظمة الاستبدادية لا يمكن لها أن تقهر الشعوب وأن تظل جاثمة على مقدرات البلد،بل هي زائلة والتأريخ يحدثنا عن جبابرة طغاة إزالتهم شعوبهم لمزبلة التاريخ في مقدمتهم شاوسيسكو الروماني وهونيكر الألماني الشرقي إضافة إلى دكتاتوريات أمريكا اللاتينية في تشلي والأرجنتين ونالوا القصاص العادل .

وأنا أستمع للتهم الموجهة للنظام السابق في مصر وجدت بأن الأنظمة الدكتاتورية تتشابه في كل شيء،وفي طريقة تعاملها مع الشعب أو في استحواذها على السلطة والمال أو حتى في إدارتها للدولة وفق منظور بوليسي مخابراتي حيناً وعائلياً بحت حيناً آخر، وهذه الطريقة تبتعد كثيراً عن مفهوم المواطنة والحقوق والواجبات،وبالتالي فإن نهايات هذه الأنظمة هي الأخرى تتشابه وستقف جميع رموزها ذات يوم في قفص الاتهام وتحاكمها الشعوب عن جرائمها التي ارتكبتها في عقود حكمها ،ولعل أكبر جريمة ارتكبتها هذه الأنظمة هي استمرارها بالسلطة دون وجه شرعي وتمسكها بها ،بل وصل الحد لقمع الشعب من أجل البقاء في الكرسي على غرار ما حصل في قمع الانتفاضة الشعبية في الشمال والجنوب من قبل المقبور صدام وجلاوزته في عام ١٩٩١، وما حصل من نظام مبارك وبلطجيته، وما يدور الآن في ليبيا وسوريا. إن هذه الأنظمة القمعية لم تقرأ التاريخ جيداً ولم تتعض من الدروس السابقة لأنها أنظمة لا ترى سوى مصالحها فقط ولا أدري لماذا تذكرت كلمة المجنون القذافي في قمة دمشق العربية حين قال تعليقاً على إعدام صدام بأن كل الزعماء العرب سيشنقون وإن صدام البداية ، لم تكن هذه نبوءة من القذافي بقدر ما هي صراحة مجرم يدرك جيداً بأن نهاية الطغاة متشابهة في كل شيء باستثناء التوقيت، فلكل طاغية يوم حساب . هذه المحاكمات تمثل في ما تمثله رسائل للحكام حتى أولئك الذين حملتهم صناديق الإقتراع بأن يتعاملوا مع الناس على أساس المواطنة أولاً وأن يكفوا أيدي أعوانهم ومقربيهم وعوائلهم عن مصادرة حقوق الآخرين وأن لا يعتبروا البلد مزرعة خاصة بهم.

سمات جديدة لثورتي مصر وتونس

لقد اتسم موقف الحكومات العربية من ثورة ٢٥ يناير المصرية بالحذر والخوف على عروشهم وامتداد الثورة إلى أراضيهم، وقد انتقلت شرارة الثورة بالفعل إلى العديد من الدول العربية بسبب اكتمال شروطها وأسبابها من قهر سلطوي وفقر وإفقار للجموع العريضة من الشعوب العربية وتركة متجذّرة من الموروثات السلفية الدينية والسياسية وركود طويل المدى من تهميش للإرادات والعقول العربية، هذا الركود الذي خلق الاستكانة والتراجع لدى الجماهير العربية واكتفائها بالحصول على الحد الأدنى من احتياجاتها البيولوجية واستغنائهم عن سائر المتطلبات الضرورية للحفاظ على حقوقها في الكرامة الإنسانية والمشاركة في صنع مصائرها.

أ.د. عواطف عبد الرحمن

وقد فاجأتهم الثورات في مصر وتونس التي أشعلها الشباب وانضمت إليها الجموع الحاشدة من المقهورين والمهمشين ولكن لا تزال تركة الموروثات من الفساد والمفسدين قائمة وفاعلة وتحاول باستماتة إعادة عقارب الساعة إلى الخلف. وتشير الخبرة التاريخية إلى صعوبة بل استحالة تنازل المستبدين والفاسدين من الحكام وأصحاب المصالح غير المشروطة عن الامتيازات الذين يناضلون من أجل استعادة حقوقهم المشروعة، إنهم يملكون الحق ولكنهم لا يملكون أدواته في ما يتسلح المعسكر المعادل بكل أدوات القوة الاقتصادية والأمنية ،علاوة على الخبرات الشريرة التي اكتسبوها طيلة فترات من التسلط والنفوذ. إن الثورات قد تحدثت بصورة مفاجئة ولكن صنع المستقبل لا يمكن أن يتم بطريقة الانفجار بل لابد من فترة انتقالية لإعادة ترتيب الأوضاع في إطار النموذج التغييري. وبصورة تلبي تطلعات واحتياجات الجموع العريضة من المشتاقين للتغيير.

فزع وخوف

وثورة ٢٥ يناير لا تزال تحبو في ظل مناخ يشوبه الفرح الجماهيري بكسر حاجز الخوف والرغبة العارمة في المشاركة ،ولكن لا يزال الفرح الثوري محاصراً بتركة ثقيلة من الصعوبات والمعوقات الكامنة والسافرة والتي تحتاج إلى جولات ثورية متواصلة لإزالة هذه المعوقات وتطهير الجموع العريضة من تراث الخضوع والاستضعاف والاستذلال وانعدام الثقة بالنفس لدى الملايين الذين أهدرت آدميتهم خلال ثلاثين عاما وأكثر. وإذا كانت النخب السياسية والثقافية تنشغل بقضايا الإصلاح والتغيير السياسي باعتبارها مفتاح التغيير الشامل فإن الجماهير تنشغل بقضايا أخرى تتصدر أجندة همومها اليومية وتتمثل في ضرورة إشباع احتياجاتها الحياتية الضرورية أولا والتي تعد في نظرها شرطا مسبقا لتحقيق كرامتها الإنسانية ومدخلا إنسانيا لمشاركتها في إدارة شؤون الوطن.

وفي إطار الصخب الذي تمارسه النخب السياسية تتواري هموم وقضايا الجموع الشعبية وتواصل النخب السياسية دورها في إعلاء صوت القضايا السياسية مثل الانتخابات والاستفتاء على حساب القضايا الاجتماعية والثقافية. ولا تنتبه إلى دورها الغائب والذي يتطلب ضرورة التحام هذه النخب بالجماهير وتوعيتها وتنظيمها والاستجابة لتطلعاتها المشروعة في الحصول على حقوقها في الصحة والتعليم والعمل والسكن والمشاركة المجتمعية. وفي ظل غياب النخبة عن الجماهير يحدث الانفصال بين هذه النخب التي تؤمن بالأفكار الثورية وقواعد الجماهيرية المسكونة بتركة الموروثات المعوقة للتغيير الثوري.

المهام الأصعب

وإذا كانت المهمة الأولى للحركات الثورية تتمثل في القضاء على استبداد النظام السياسي الفاسد والمتسلط، فإن المهام الأصعب والأجدر بالاهتمام تتمثل في ضرورة الاهتمام بإزالة تركة الموروثات التي تتحكم في فكر وسلوك الجماهير بمختلف شرائحها في المدن والريف والتي قد تتناقض في معظم مفرداتها مع منظومة الأهداف النبيلة للثورة. فالثورات كما قال بحق بونابرت يخطط لها الأذكياء ويصنعها النبلاء ويجني ثمارها الانتهازيون.

والسؤال المطروح كيف نحافظ على ثورتنا من مؤامرات وألاعيب الانتهازيين الذين تتكاثر أعدادهم في ركاب الثورات يضللون ويراوغون ويلتفون حول أهداف التغيير الثوري بكل السبل والخبرات الشريرة التي اكتسبوها خلال حقبة الاستبداد ،إنهم يسعون بدأب لتفتيت الأهداف الثورية يفرغونها من محتواها ويقفزون على جهودها سعيا للإبقاء على امتيازاتهم ومصالحهم غير المشروعة. هذا هو التحدي الأول الذي يواجه الثورات العربية وفي صدارتها ثورتا مصر وتونس. أما التحدي الثاني فهو يتعلق بقضية الديمقراطية ، فالثورة الديمقراطية التي أشعل شرارتها الشباب ثم انضمت إليها جميع فصائل الشعب المصري، كشفت حقيقة غابت عن أذهان السياسيين والمفكرين الذين تنبأوا أن الثورة القادمة ستكون ثورة جياع، أي أن الخبز هو الذي سترجح كفته في معادلة الثورة، ولكن جاءت ثورة ٢٥ يناير المصرية وثورة تونس كي تثبتا أن الحرية والكرامة كانتا لهما الأولوية وتصدرت شعارات الثوار، فيما توارت شعارات العوز الاقتصادي وهموم المفقرين والجياع.

نموذج ديمقراطي

وفي ضوء تجذر غياب الديمقراطية في الأبنية السياسية والاجتماعية والثقافية بدءا بالأسرة العربية ثم المدرسة والجامعات والممارسات الدينية في المساجد والكنائس ومنظمات المجتمع المدني (الجمعيات الأهلية والنوادي) والمؤسسات التشريعية والإعلامية والثقافية في ضوء كل ذلك يبرز السؤال الآتي:

كيف نتمكن من بناء نموذج ديمقراطي ينبثق من فهمنا ودراستنا العميقة للتاريخ السياسي العربي مع مراعاة الاستفادة من فهم التراث العالمي وتطبيقاته الغربية وممارساته في سائر الدول النامية التي حاولت تطبيق النموذج الغربي وفشلت أغلب هذه الدول ما عدا الهند وماليزيا والبرازيل وتركيا؟!

وكيف نتعلم من الخبرات الفاشلة التي اعتمدت على استيراد النموذج الغربي وحاولت تطبيقه دون وعي واستيعاب حقيقي لتاريخ أوطانها ودون إدراك للاحتياجات الفعلية لشعوبها؟ إذ لا يمكن إغفال هذا العنصر الأساسي والحاسم كما لا يمكن في ذات الوقت تهميش تجارب الشعوب الأخرى إذ أن الاستعانة فقط بما حققته الدول الغربية في المجال الديمقراطي قد أسفر عن إخفاقات عديدة أولها تكريس التبعية السياسية للغرب وتعميق استمرار الاستبداد السلطوي للحكام واتساع مساحة الفقر والإفقار. إننا في حاجة إلى إعادة قراءة الظاهرة الديمقراطية وتاريخها في العالم العربي ومحاولة تفسير تداعياتها وتأثيرها في الثورات الجديدة التي قام بها الشباب كطليعة وانضم إليها جموع المهمشين والمفقرين من عامة الشعب لقد أرست هذه الثورات إطارا جديدا غير متوقع لدي جميع الساسة والمفكرين العرب والأجانب، هذا الإطار الديمقراطي الذي استحدثته ثورتا تونس ومصر وأفرزتا واقعا جديدا لا يزال في طور النشأة والتجدد والتطور يحتاج هذا الإطار إلى التعمق في فهم دوافعه ومعطياته ونتائجه وتداعياته.

وإذا كان هذا الإطار قد حقق الهدف المحوري للثورتين والذي يتمثل في إزاحة نظم استبدادية فاسدة وتابعة للغرب فإن هذه هي الخطوة الأولى التي ستتلوها خطوات تتمحور حول تحقيق المواطنة العربية التي تشمل المشاركة في صنع القرارات الوطنية وعدالة توزيع الثروات الوطنية مما يتيح إطلاق الطاقات الشعبية التي قمعت وهمشت على مدى عدة عقود فهل يمكن أن يبادر المثقفون الثوريون والمفكرون والسياسيون الراديكاليون في العالم العربي بالسعي إلى دراسة وفهم واستخلاص السمات والملامح التي تميزت بها الثورات الجديدة ومحاولة البناء عليها وتعميقها وتطوير آلياتها بدلا من الاستمرار في المقارنة بين النماذج الثورية الجديدة وبين النماذج الغربية التي جلبت للشعوب العربية المزيد من التبعية السياسية والإفقار الاقتصادي والهوان الفكري وإهدار السيادة الوطنية.

أزمة قيادة

أما التحدي الثالث الذي يواجه ثوراتنا العربية فهو يتجسد في أزمة القيادات الحالية التي تتصدر المشهد الثوري.

ففي ضوء ما قيل عن سيادة القانون وتحت مظلته ارتكبت جرائم نهب المال العام واغتصاب أراضي الوطن ونقل ملكيتها لأباطرة السوق والسلطة وفي ظل سيادة القانون تمت إزاحة جموع البسطاء والشرفاء كي يشغلوا مواقع المتفرجين وكي ينعزلوا في العشوائيات السكنية والوظيفية والسياسية وبقيت القيادات التنفيذية التي أهدرت روح القانون وجوهر العدل الذي وضع من أجله هذا القانون هذه القيادات التي تربت في مناخ يسوده الفساد المالي والإداري والتضليل الإعلامي والتزييف السياسي كيف نطمئن إلى أنها قادرة على إقرار العدل القانوني والمجتمعي وتفعيل الممارسة الديمقراطية داخل المؤسسات التنفيذية والتشريعية والتعليمية والثقافية!

وهل تستطيع هذه النخب أن تتحول إلى كوادر ديمقراطية تؤمن بحقوق الغالبية العظمى من شركاء الوطن في المشاركة واقتسام المغانم والمغارم؟

إن الثورة لا تزال في أولى خطواتها وأمامها جولات عديدة قادمة لتحرير روح الوطن وإعداد أجيال جديدة لم تتلوث بعد بالفيروس المدمر لروح الإنسان وأعني به الجشع والأنانية والتمركز حول المصالح الشخصية الضيقة.